

الفصل التاسع

الصحافة المصرية والمقاومة الفلسطينية خلال الحقبة الساداتية ١٩٧١-١٩٨١

رغم المحن التي كانت تمر بها المقاومة الفلسطينية إلا أن عامي ١٩٧٠ و ١٩٧١ شهد أعمالاً فدائية كثيرة موجهة ضد إسرائيل علاوة على انتفاضات الشعب الفلسطيني في الأرض المحتلة .. ورغم الضعف النسبي الذي أصاب حركة المقاومة في الضفة الغربية نتيجة المؤامرة "أيلول الأسود" وما تلاها من صدام مستمر متقطع من السلطة الأردنية والمنظمات الفدائية .. فإن الرد العملي والشعبي تمثل في تصاعد لافئ للنظر لحركة المقاومة في قطاع غزة ليؤكد ظاهرة استمرار النضال ضد الاحتلال .. وقد اهتمت الصحف المصرية بتتبع ومناقشة تلك الظاهرة الايجابية الهامة باعتبار أنها الدليل العملي على صمود وبقاء المقاومة ..

فقد أشارت الأهرام إلى "اشتباك بين المقاومة ودورية اسرائيلية" في الجليل الأعلى. وتم ذلك عن طريق الأراضي اللبنانية و"قنابل ومظاهرات بغزة في ذكرى وعدة بلفور"^(١). "ثلاثة انفجارات في غزة واصابة ٧ أشخاص". "إسرائيل تعتقل ١٢٨ عريباً خلال ساعات من انفجار تل أبيب" قوات إسرائيل تطلق النار على المتظاهرين في غزة"^(٢)

وتتوالى أنباء المقاومة على صفحات الأهرام: نسف قطار اسرائيلي على طريق القدس^(٣)، السلطات الاسرائيلية تفرض حظر التجول في قطاع غزة المحتل ...، انفجار قنبلة يدوية في دورية للعدو في غزة و "اصابة فتاة في غزة برصاص دورية اسرائيلية" "موجة من الانفجارات في غزة ... الخ، و"تزايد المقاومة في غزة"^(٤).

وقد علقت الأهرام على استمرار عمليات المقاومة فذكرت "دلالة زيادة المقاومة في الأرض المحتلة .. وستستمر المقاومة في نشاطها إلى أن تخضع إسرائيل بضرورة إيجاد حل ليقرر الشعب الفلسطيني مصيره ووجوده القومي المشروع وفق قرار الأمم

المتحدة^(٥) وتواصل الأهرام "اضراب عام في يوم ملء بالهجمات بالقنابل في غزة" كما تنشر الأهرام اجراءات اسرائيل التعسفية ضد أهالي قطاع غزة وتعلق عليها في نفس العدد "رأى الأهرام" فتقول "إن الارهاب الذي فرضته اسرائيل على غزة واعتقال المئات من الشباب العربي .. الخ، كل هذا لم يمنعهم من مواصلة المشاركة والاضراب، مما يدل على أن المقاومة العربية في الأرض المحتلة لا يمكن اخمادها وان استقرار السلطة الاسرائيلية في هذه المناطق أمر مستحيل"^(٦).

وفي ١/٢٥ " المقاومة تنسف مبنى في عملية جريئة داخل تل أبيب (اسرائيل).

وفي ١١/٢/١٩٧١: محاكمة تلميذة في غزة عمرها ١٦ سنة بتهمة قذف الحجارة على القوات الاسرائيلية أثناء سيرها.

وفي ٩/٣/١٩٧١: قصف مستعمرة ضمن عمليات للمقاومة، وفي نفس العدد "حرائق غامضة في تل أبيب تشتعل في عدة مصانع.

وفي يوم ٣/١٠: "المقاومة تجدد هجماتها في المرتفعات السورية المحتلة".

وفي يوم ٣/٣١: "تسف بنك اسرائيلي في خان يونس، وتواصل الأهرام متابعتها لعمليات المقاومة فتشير إلى "قصف مستعمرتين في منطقة الجليل الأعلى بقذائف البازوكا.

وفي يوم ٤/٢٦: "اسرائيل تهدد لبنان بسبب تزايد نشاط المقاومة في الجليل"^(٧).

ثم تشير إلى القاء قنبلة في غزة على دورية اسرائيلية^(٨) وإن "المقاومة تهاجم في غزة اتوبيسا اسرائيليا"^(٩)

وفي ٩ يوليو ١٩٧١ نشرت الأهرام أخبار مانشيت الصفحة الأولى "انفجارات تل أبيب وقصف (بتاح تكف) بالصواريخ وهي أول مستعمرة صهيونية يؤسسها اليهود الأوائل في فلسطين .. وعلق "رأى الأهرام" بأن الصواريخ العربية التي أصابت تل أبيب تأكيد لاسرائيل أن تجميد الموقف على ما هو عليه أمر مستحيل المنال. كما تأتي

تلك الانفجارات في وقت يعقد فيه المجلس الوطني الفلسطيني الذي يعتبر رمزا حقيقيا على أن المقاومة لم تنطفئ شعلتها وأن كل محاولة للنيل منها تأتي بالعكس.

كما أولت الأخبار نشاط المقاومة في الأراضي المحتلة الاهتمام نفسه. فعلى سبيل المثال أشارت إلى أن "القدس تستيقظ على انفجارات جديدة مدمرة بعد يومين من ضرب بتاح تكفا بالصواريخ"^(١٠). كما ذكرت أن الذعر يجتاح إسرائيل بعد ضرب الفدائيين لتل أبيب بالصواريخ، و ٣٢٠ قتيلًا وجريحًا حسب تقدير إسرائيل .. فرض حظر التجول في الضفة الغربية ...،^(١١)

ويلاحظ أن الصحف المصرية قد تتبعت باهتمام بالغ نشاط المقاومة المتزايد في الأرض المحتلة خاصة قطاع غزة ..

- من الملاحظ ان الصحف كانت تعبر عن الهجمات أو القائمين بها كثيرا بلفظ (العرب أو العربية) ويعكس ذلك الشعور بالحاجة إلى نسب تلك المقاومة إلى الشعب العربي والعرب بشكل عام لاضفاء روح المقاومة عليهم جميعا في وقت سكنت فهي الأنظمة العربية وعاشت شعوبها - ومنها الشعب المصري - تحت وطأة الاحساس بالصمت والجمود.

- أظهرت الصحف تعاطفا شديدا تجاه مقاومة السكان في قطاع غزة والأرض المحتلة ككل ..

- تناولت الصحف بالتعليق والرأي تزايد المقاومة كظاهرة هامة وإيجابية ترد على محاولات تصفية المقاومة خاصة من قبل الأردن.

- تميزت معالجة الأخبار بطابع أكثر إثارة .. من الأهرام التي التزمت المحافظة نسبيا.

وعلى المستوى الدولي تابعت الصحف قضية الأزمة الحالية التي تمر بها وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين التابعة للأمم المتحدة، ففي ١٢/٣/١٩٧٠ على سبيل المثال أشارت الصحف المصرية إلى أن وكالة غوث اللاجئين تواجه عجزا رغم زيادة ميزانيتها. كما اهتمت الصحف بقرارات الأمم المتحدة (الجمعية العامة) التي تدين

العدوان الصهيونى. وعلى سبيل المثال نشرت الأهرام (فى ١٢/٣/١٩٧٠) قرار بمعاملة المناضلين من رجال المقاومة كأسرى حرب .. أقرت ذلك اللجنة الاجتماعية التابعة للأمم المتحدة". كما درجت المقالات والتعليقات على التأكيد على عزلة اسرائيل دوليا وعدم احترامها لمواثيق الأمم المتحدة، ودارت حول قرار ٢٤٢ .. كما انتقدت الموقف الأمريكى المؤيد للصهيونية والعدوان والمتناقض مع ميثاق الأمم المتحدة وقراراتها الدولية.

كما تابعت الصحف تطورات الأزمة الأردنية الفلسطينية صعودا وهبوطا وإن كانت قد اخذت موقفا أكثر وضوحا وتشددا تجاه الأردن لتماديها فى المؤامرة بشكل جلى.

ونشرت أخبار الوحدة بين المنظمات الفلسطينية ثم انشقاق جبهة التحرير الشعبية والجبهة الديمقراطية.

نشرت الأهرام فى ١٧ مايو ١٩٧١ أى بعد أحداث ١٥ مايو فى القاهرة "تأييد للرئيس السادات من الشعب الفلسطينى وقيادته. ولا تخفى دلالة ذلك الخبر فى هذا الوقت بالذات. أى أن النظام حاول استخدام السمعة الطيبة للشعب الفلسطينى والتعاطف الشعبى بمصر الموجه للفلسطينيين فى معركة داخلية..

ثامنا : حادث ميونيخ :

نشرت الأهرام فى ٦ سبتمبر سنة ١٩٧٣ فى صفحتها الأولى وباهتمام كبير خبر هجوم الفدائيين الفلسطينيين على البعثة الرياضية الاسرائيلية فى القرية الأولمبية و"مصرع ٢ من الاسرائيليين أثناء الهجوم ووضع الباقين رهينة حتى تفرج اسرائيل عن ٢٣٠ فدائيا". وفى عموده اليومى كتب على حمذى الجمال يدافع عن الفدائيين الفلسطينيين ويطالب بالتروى قبل الهجوم عليهم لأنهم "ليسوا هواة قتل بل انهم واقعون تحت الضغوط التى يفرضها العدو الاسرائيلى فى فلسطين ...". ثم نشرت الأهرام فى صفحتها الأولى صورة الفدائيين الثلاثة الذين اعتقلوا عقب الحادث بالمانيا ونشرت خبرا عنوانه "المخابرات الاسرائيلية أشرفت على إعداد الكمين للفدائيين"^(١٢) ثم كتب

احسان بكر مقالا بعنوان "ميونيخ وحرب الأعماق بين الفلسطينيين واسرائيل" يقول فيه إن حادث ميونيخ يعتبر مرحلة جديدة في العمل الفدائي ويقول أن حرب الاستنزاف ضد الفلسطينيين قد بدأت أيضا بعد ميونيخ^(١٣).

أما الأخبار فقد نشرت تفاصيل الحادث. وكان رأى الأخبار فى حادث ميونيخ أنه "أيا كانت الخلافات فى وجهات النظر حول الأسلوب الذى استخدمه الفدائيون الفلسطينيون فى هجوم ميونيخ ضمن كفاحهم ضد العدو الاسرائيلى ومصالحه فى كل مكان، فإن هذا الخلاف لا ينبغى أن يحول أنظار الرأى العام العالمى عن الحقيقة الأساسية. وهى أن استخدام الفلسطينيين للعنف هو نتيجة مباشرة أو بالأحرى النتيجة الوحيدة التى كان لابد أن تترتب على الجريمة التى كان ضحيتها الشعب الفلسطينى. وهى جريمة كانت منذ البداية ملطخة بدم الفلسطينيين" واتهم المقال البوليس الألمانى بأنه السبب فى قتل الرهائن ... ومن الجدير بالذكر أن المتحدث الرسمى وصف تصرف حكومة ألمانيا الاتحادية إزاء حادث ميونيخ بأنه "تصرف غير سليم لا يتسم بالحكمة وإن حكومة ألمانيا الاتحادية تتحمل نتائج هذا الحادث وعليها وحدها تقع المسئولية كاملة، وإنه كان من الواجب على هذه الحكومة أن تحترم تعهداتها مع الفدائيين وأن تتحمل تبعاتها بدلا من أن توزع الاتهامات ضد مصر والعرب"^(١٤).

وقد اهتمت الأخبار بهذا الحادث وعلقت عليه كثيرا سواء فى رأى الأخبار الرسمى، كلمة اليوم، أو من خلال بعض كتابها الكبار ومنهم أنيس منصور وفيليب جلاب^(١٥).

الخلاصة

لقد تبنت الصحافة المصرية وجهة النظر المدافعة عن الفدائيين الفلسطينيين باعتبار أن ما فعلوه حق مشروع لهم، لمواجهة الارهاب الصهيونى الذى ينكل بالفدائيين العرب فى السجون الاسرائيلية. وحرصت الصحف المصرية الثلاثة على ابراز هذه الحقائق:

١- أن النفوذ الصهيونى المتزايد فى ألمانيا عامل ضغط على الحكومة الألمانية.

- ٢- أن المسؤولية المباشرة في الحادث تقع على عاتق السلطات الألمانية التي خدعت الفدائيين وخضعت لأوامر المخابرات الإسرائيلية.
- ٣- ألمانيا وإسرائيل معاديتان وفي دائرة النفوذ الأمريكي تحت تخطيط حلف الاطلنطي.
- ٤- إن حل القضية الفلسطينية هو الكفيل بالقضاء على أى عمليات مماثلة وبذلك فإن ممارسات إسرائيل داخل الأراضي الفلسطينية هي السبب الرئيسى والحقيقى فى الحادث.

تاسعا: عمليات المقاومة أثناء حرب أكتوبر:

تابعت الصحف المصرية اليومية الثلاث على مدار شهر أكتوبر بأكمله العمليات العسكرية التي قامت بها المقاومة الفلسطينية .. وتراوح موقع الأخبار التي تتحدث عن نشاط المقاومة بين الصفحة الأولى والصفحات الداخلية. وقد نشرت الأهرام خلال شهر أكتوبر الأخبار الآتية عن المقاومة الفلسطينية.

م	موقع الخبر	تاريخ النشر	مضمون الخبر
١	الصفحة الخامسة	٨ أكتوبر ١٩٧٣	نشاط المقاومة خلف خطوط إسرائيل وبيان عرفات يدعو إلى ضرب جميع الأهداف الإسرائيلية.
٢	الصفحة الثانية	١١ - أكتوبر	هجوم يشنه الفدائيون في الجليل.
٣	الصفحة الثانية	١٢ - أكتوبر	هجوم فدائي على قرية مظلة على الحدود الإسرائيلية اللبنانية.
٤	الصفحة الثانية	١٣ - أكتوبر	هجوم فدائي على ٩ مستعمرات إسرائيلية واسقاط فانتوم إسرائيلية.
٥	الصفحة الأولى	١٤ - أكتوبر	اشتباك للمقاومة مع القوات الإسرائيلية وتصاعد النشاط الفدائي.
٦	الصفحة الأولى	١٨ - أكتوبر	قصف المقاومة لـ ٤ مستعمرات إسرائيلية بالصواريخ.
٧	الصفحة الأولى	٢٠ - أكتوبر	قصف المقاومة لأهداف إسرائيلية في الجليل.
٨	الصفحة الثانية	٢٨ - أكتوبر	استمرار هجمات المقاومة ضد إسرائيل.

وبالإضافة إلى هذه الأخبار المباشرة عن النشاط الفدائي فقد نشرت الأهرام خبراً آخر يدل على عنف هذه المقاومة يوم ١٩ أكتوبر. ومضمون الخبر أن إسرائيل قدمت شكوى للأمم المتحدة بسبب تصاعد نشاط المقاومة.

أما الأخبار فقد تابعت العمليات العسكرية للمقاومة أيضاً .. ولكن بصورة أقل من ناحية العدد والإبراز ولكنها في ١٩ أكتوبر نشرت في صفحتها الأولى خبراً عن "١٠٧ عمليات للفدائيين في إسرائيل" أشارت فيه إلى اشتداد العمليات الفدائية بين يومي ١٢، ١٦ أكتوبر نقلاً عن راديو إسرائيل .. وفي ٢١ أكتوبر نشرت تحت عنوان "العمليات العسكرية للفدائيين الفلسطينيين" أهم العمليات التي قام بها الفدائيون أثناء حرب أكتوبر والأماكن التي وجهت إليها العمليات.

ولا يكاد الأمر يختلف كثيراً في الجمهورية التي واطبت على نشر العمليات الفدائية التي قام بها الفدائيون الفلسطينيون خلال الحرب.

ولكن .. ابتداء من أول نوفمبر قل الاهتمام نسبياً بالعمليات العسكرية نتيجة الاهتمام الطاغى بمؤتمر السلام ومدى إمكانية مشاركة الفلسطينيين فيه .. ومع ذلك فقد نشرت الصحف الثلاث بعض العمليات التي قام بها الفدائيون خلال الشهور التالية لآكتوبر. ويلاحظ قلة مواد الرأي التي تتحدث عن هذه العمليات العسكرية باستثناء الأهرام التي كتبت مرتين عن هذه العمليات خلال شهر نوفمبر وأيدتها معبرة عن الموقف المصري المؤيد لاستمرار العمل العسكى. كما نبهت الأهرام إلى ضرورة الحرص على الحيلولة دون أية محاولة للنيل من العلاقات الوطنية التي تربط القاهرة بالمقاومة الفلسطينية ودعم علاقة المقاومة بالاتحاد السوفيتي. فهما ركيزتان أساسيتان في ضمان حل عادل لأزمة الشرق الأوسط يستند إلى ما أنجز في حرب أكتوبر من تلاحم على الصعيد العربى ومن تأييد دولى حرك الأزمة من ركودها. والمطلوب الآن السير بمنجزات هذه الحرب حتى يستعيد العرب حقوقهم كاملة بما فى ذلك الحق المشروع لشعب فلسطين العربى..

ومنظمة تحرير فلسطين هي وحدها، كما تؤكد موسكو، الممثلة الشرعية للشعب الفلسطيني، لذلك تشكل المحادثات التي يجريها ياسر عرفات في هذا الظرف في كل من القاهرة وموسكو عنصر بالغ الأهمية في تأكيد تماسك الجبهة العالمية المعادية للعدوان الاسرائيلي، واحتفاظها بالمبادأة ضد مناورات العدو في المرحلة الحساسة القادمة^(١٦).

كما أكدت الأهرام في مقال افتتاحي آخر نفس الموقف السابق للسلطة المصرية من المقاومة الفلسطينية والشعب الفلسطيني بصفة عامة، وبعض مقتطفات من المقال توضيح ذلك.

إذ أوضحت أنه (من الأهمية بمكان أن تلتقى كلمة الدول العربية جميعها ودون أن ينطوى ذلك على حساسية لأية دولة عربية أيا كانت، على أن ممثل شعب فلسطين هو التنظيم الذي يضم في صفوفه المقاتلين من شعب فلسطين الذين رفعوا راية المقاومة، ورفضوا في أي وقت الانصياع لمخططات إسرائيل في تصفية كيان فلسطين العربي كقضية شعب له حقه المشروع في أن يقرر بنفسه مصيره داخل أرضه أي أرض فلسطين ذاتها).

ليس من شك في أن الدول العربية جميعا حريصة على أن جميع شرائح شعب فلسطين العربي التي صمدت بشتى الصور للاحتلال الاسرائيلي لا بد أن تكون لها كلمة في تمثيل شعب فلسطين.

أما الجمهورية فقد أشارت في إحدى افتتاحياتها إلى موقف مؤتمر القمة في الجزائر الذي يرفض اعتبار وقف إطلاق النار الحالي مرادفا للسلام، مؤكدا أن المعركة مازالت مستمرة وأن شروط السلام هي الانسحاب الكامل من كافة الأراضي العربية المحتلة، وفي مقدمتها القدس واستعادة حقوق شعب فلسطين الذي تمثله منظمة التحرير الفلسطينية^(١٧).

هذا وقد تركز معظم اهتمام الصحف المصرية بعد انتهاء أكتوبر أثناء حديثها عن المقاومة على الموقف من مفاوضات السلام المزمع إجراؤها .. ويمكننا أن نرصد بعض النتائج من تتبّع الصحف لمفاوضات السلام:

- اهتمت الأهرام كثيرا بجدوى العلاقات الفلسطينية السوفيتية باعتبار أن الاتحاد السوفيتي صديق لمصر والمقاومة معا. واهتمت الأهرام بزيارة وفد منظمة التحرير لموسكو ونتائج زيارته.
- أكدت الصحف الثلاث على اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني.
- لم يكن هناك اتفاق محدد حول نوعية السلام ومدى تحقيقه لحقوق الشعب الفلسطيني: فقد نشرت الأهرام في ١٩ نوفمبر مقالا للمؤرخ البريطاني ارنولد توينبي بعنوان "نظرة جديدة على أزمة الشرق الأوسط" يقترح فيه:
 - عودة اسرائيل إلى خطوط ما قبل ١٩٦٧.
 - دولة فلسطينية لضمان حقوق شعب فلسطين.
 - تدويل القدس تحت إشراف الأمم المتحدة .. وقيام قوات يابانية بالمحافظة على السلام فيها.
- وفي ٢٢ نوفمبر نشرت تصريحات المسؤولين في المقاومة قالوا فيها إن تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ هو الحد الأدنى لمطالب المقاومة.
- وفي ٣ ديسمبر نشر خبر قبول عرفات مشروع إقامة دولة فلسطينية نقلا عن راديو ليبيا وعادت في اليوم فكذبه نقلا عن نفس المصدر!
- وفي ٩ ديسمبر كانت عناوينها الرئيسية تتحدث نقلا عن مصادر مصرية رسمية أن مبادئ مصر في حضور مؤتمر السلام تتضمن انسحاب اسرائيل من الأراضي العربية المحتلة وحقوق الشعب الفلسطيني في إقامة دولته وتقرير مصيره.
- نشرت الصحف كثيرا من الآراء المتضاربة دون أى تعليق مباشر .. وكان رأيها هو المحافظة على حقوق الشعب الفلسطيني والانسحاب من الأراضي المحتلة .. دون تحديد للمقصود من هذه المعاني "غير المحددة".
- لكن الصحف الثلاث اتفقت - كصدى للسياسة المصرية الرسمية - على المطالبة بإقامة حكومة فلسطينية في المنفى من أجل الاشتراك في مفاوضات السلام!

لم يكن الأمر قد تبلور تماما .. الشيء الوحيد الذى آمنت به السلطة السياسية هو أن القضية يجب أن تحل سلميا دون أن تحدد كيف يكون هذا الحل.

عاشرا : نشاط المقاومة الفلسطينية قبل المبادرة:

لرصد موقف الصحافة المصرية من المقاومة الفلسطينية بين عامى ١٩٧٥ - ١٩٧٨ فقد قسمنا هذه المرحلة إلى قسمين:

القسم الأول: هو ما قبل مبادرة الرئيس المصرى أنور السادات بزيارة فلسطين المحتلة فى نوفمبر ١٩٧٧.

القسم الثانى: هو ما بعد هذه الزيارة وحتى توقيع السادات لاتفاقية كامب ديفيد مع اسرائيل فى سبتمبر ١٩٧٨، ثم توقيع المعاهدة المصرية الاسرائيلية فى مارس ١٩٧٩.

ويتضمن كل قسم رسدا لموقف الصحافة المصرية من:

١- المقاومة الفلسطينية بصورتها العسكرية والمدنية.

٢- الصور الأخرى للمقاومة و أزماتها.

وقد شهدت هذه الفترة " ١٩٧٥ - ١٩٧٨ " عدة أحداث على درجة عالية من الأهمية كاشتعال الحرب الأهلية فى بيروت فى أبريل ١٩٧٥ .. والانتفاضات الفلسطينية المتتالية داخل الأراضى المحتلة .. حتى زيارة السادات وتوقيعه للصلح الانفرادى مع العدو الصهيونى.

• كان أبرز أحداث هذه الفترة التدخل السورى فى لبنان والمذابح التى تعرضت لها المقاومة الفلسطينية.

• أدانت الأهرام التدخل السورى فى لبنان ودور سوريا فى مذابح تل الزعتر.. وحظيت سوريا بأكبر قدر من الهجوم فى هذه الفترة ووصل الأمر فى ٧١٣١ إلى اتهام سوريا بإجراء اتصالات مع اسرائيل التى تبارك المخطط السورى فى لبنان. ولكن حقيقة الأمر أن هذا الموقف المصرى يتسم بعدم المبدئية فبعد أن تم الصلح

بين السادات والأسد اختلفت تماما نغمة الهجوم على البعث السورى وبدأ الحديث عن السلام من جديد (بعد أن تعرضت المقاومة لضربة شديدة).

• أدانت الصحف موقف الأردن أيضا ولكن بدرجة أقل من سوريا .. وطفى الهجوم على البعث السورى بعد ذلك حتى كاد الحديث عن الأردن يختفى تماما من الصحف الثلاث^(١٨).

• لعبت الولايات المتحدة دورا كبيرا فى مأساة تل الزعتر. وكانت المأسى التى تعرضت لها المقاومة الفلسطينية فى لبنان. ومع ذلك فلم تنقل أى هجوم من الصحف المصرية فى هذه الفترة.. وذكرت بصورة ايجابية دائما.

• كان لإنهاء المعاهدة المصرية السوفيتية فى ١٤ مارس ١٩٧٦ أثر بارز فى الموقف من الاتحاد السوفيتى فقد تعرض لحملات من الصحف الثلاث بسبب مواقفه بعد الغاء المعاهدة.

• وبسبب العلاقة بين الصاعقة وسورية .. فقد اتهمت الأهرام الصاعقة بالعمالة والخيانة .. وذلك إما نقلا عن مصادر فلسطينية أخرى وأما بعيدا عن رأى الأهرام^(١٩).

• أكدت الصحف المصرية على أن منظمة التحرير الفلسطينية هى الممثل الشرعى لشعب فلسطين .. وأن لمصر منها موقفا مبدئيا لا يتغير رغم كل الخلافات المؤقتة.. وكان هذا التأكيد مقترنا بأشتراك المنظمة فى أى مجهودات سلمية لاقرار السلام فى المنطقة.

• وتكرر الحديث أيضا عن صيانة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .. وهو لايدل على شىء فى حد ذاته .. لأن السادات كان يصر حتى لحظة اغتياله على الإدعاء بأنه يعمل على صيانة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى !!

• أما وحدة العمل الفلسطينية فرغم تكرارها عدة مرات .. إلا أن الصحف المصرية لم تكن متحمسة كثيرا .. وغالبا ما استخدمت هذا الشعار لمواجهة سوريا أو الأردن .. أو رغبة فى احتواء العناصر المتطرفة فى بعض المنظمات الفلسطينية.

- ولقد أبرزت التحليلات المسحية لمعالجات الصحف المصرية الثلاثة للانتفاضات العربية خلال عام ١٩٧٦ مجموعة من النتائج الهامة نوجزها على النحو التالي:
- عنف المقاومة العربية واستمرارها وتصاعدها في وجه محاولات إسرائيل لضم الأراضي المحتلة.
 - عنف القمع والأرهاب الاسرائيلي الموجه ضد المقاومة العربية، وإدانة هذا الأرهاب.
 - تأكيد موقف مصر من المقاومة وتأييدها لهذا النضال المشروع.
 - الاتجاه لمجلس الأمن باعتباره قادرا على وقف الارهاب الاسرائيلي!
 - الربط بين الحل الشامل وأصول السلام وبين هذه المظاهرات والانتفاضات العربية!
 - كان الأهتمام بتغطية الانتفاضات العربية متوسطا .. فرغم احتلال بعض أخبار الانتفاضات الصفحات الأولى إلا أنها لم تبرز بما فيه الكفاية^(٢٠).

حادى عشر: المقاومة الفلسطينية بعد المبادرة ديسمبر ١٩٧٧: سبتمبر ١٩٧٨:

تجاهلت الصحف المصرية الثلاث العمليات العسكرية للمقاومة الفلسطينية بعد المبادرة فلم تنشرها.. أو كانت تنشرها في صفحات داخلية بعيدا عن الصفحة الأولى.. ونكتها في ١٢ مارس ١٩٧٨ لم تستطع تجاهل عمل فدائي باهر قام به رجال المقاومة.. فقد كانت العملية من الأهمية بحيث اجلت زيارة بيجين لأمريكا على حد قول الأهرام.. كان عنوان الخبر الذى نشرته الصحف فى الصفحات الأولى "مصرع وإصابة ١٠٠ اسرائيلي فى تل أبيب فى معركة مع الفلسطينيين المسلحين" ويتلخص منشورته الصحف فى أن بعض الفدائيين اختطفوا ثلاثة أتوبيسات واستطاعوا قتل حوالي ٣٠ شخصا وإصابة ٧٠ ويلاحظ على معالجة الصحف لهذا الخبر مايتأتى:

- ١- استخدام كلمتى "فلسطينيين مسلحين" بدلا من "فدائيين فلسطينيين" فى عنوان الخبر.
- ٢- الأعتقاد على وجهات النظر الصهيونية والعربية "تصريح بيجين + تصريح وايزمان + شهود العيان من الجنود والضباط الاسرائيليين + التليفزيون الاسرائيلي

+ وكالات الأنباء الغربية". أما الجزء الذى يوضح وجهة نظر منظمة التحرير فكان صغيرا جدا. واهم ما فيه إعلان المنظمة مسئوليتها عن الحادث.

وقد استمرت الصحف الثلاث ملتزمة سياسة الحياد المغرض عن متابعتها للخبر فى اليوم التالى^(٢١). ولكن الذى يثير الغرابة هو رأى الأهرام فى تلك العملية الفدائية الباهرة.

* فى ١٤ مارس كان رأى الأهرام "الدولة الفلسطينية هى الحل" ويتلخص الرأى فى أن العملية الفدائية التى قام بها الفلسطينيون داخل العمق الاسرائيلى دليل على أن كل وسائل الحماية الحديثة لا تقف عقبة أمام شعب يطالب بحقوقه المشروعة التى أقرها المجتمع الدولى .. وأن إقامة الدولة الفلسطينية وعودة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى هى الطريق الوحيد أمام مناحم بيجين لكى يستعيد لشعبه أمنه واستقراره وبدون هذا الحل سيبقى أمن اسرائيل مجرد أحلام تعبث بها دعاوى السيطرة والعنصرية وستظل اسرائيل وشعبها أسيرة الفرع والهلع !!

* كما كتب على حمدى الجمال مقالا بعنوان "بعيدا عن الحساسية والحرع" ويركز فيه على:

- أن العملية الفدائية فى تل أبيب نوع من اليأس الفلسطينى نتيجة إصرار اسرائيل على تجاهل حقوقهم.
- وأن هذه العملية كانت بمثابة دعوى رسمية من الفدائيين لكى تهاجم اسرائيل جنوب لبنان!

وحول موقف الصحف المصرية من هذه العملية الفدائية سواء من ناحية التغطية الخيرية أو من ناحية الرأى والتعليق يمكننا أن نطرح هذه الملاحظات:

- ١- إن هذه الصحف أبدت حرصها على أمن واستقرار شعب اسرائيل أكثر من حرصها على المقاومة ومستقبل قضيتها فهى تطلب من بيجين "إعطاء" دولة للفلسطينيين لينجو شعبه من "الفرع والهلع"!

٢- إن الأهرام لا ترى في العملية صمودا فلسطينيا واصرارا على مواصلة النضال المشروع من أجل قضيتهم العادلة بل ترى فيها "نوع من اليأس" علاجه عند اسرائيل ومناحم بيجين!!

٣- تحمل الأهرام الفدائيين الذين قاموا بالعملية مسئولية الغزو الاسرائيلي لجنوب لبنان!!^(٢٢)

٤- تابعت الصحف الحادث خبريا بتوازن وحياد .. واعتمدت على المصادر الاسرائيلية ووصفت الفدائيين بأنهم من "الرجال المسلحين" ولولا بعض الحياء والخجل "بالارهابيين"!

وعن الأعمال العسكرية الأخرى فقد استمر "عدم الاهتمام" فلم تعلق الصحف هذه على العمليات واكتفت بنشر هذه العمليات مثل "خبر" مصرع ثلاثة اسرائيليين وإصابة ٤ في اشتباك مع الفدائيين جنوب صور ومصدر الخبر متحدث باسم جيش الدفاع الاسرائيلي.

ونشرت الأهرام يوم ١٧ أبريل ١٩٧٨^(٢٣) خبر "مقتل وإصابة ٢٥ اسرائيليا في انفجار قنبلة بأثوبيس"^(٢٤) خبر "مصرع ٢ وإصابة ٤٧ اسرائيليا في انفجار أسواق الرئيسية بالقدس"^(٢٥)

لقد كان هذا التجاهل مواكبا لسياسة الصحافة المصرية تجاه المقاومة بعد المبادرة وهي سياسة تقوم على تشويه صورة المقاومة والتقليل من أهميتها.

ثاني عشر: الصورة الأخرى للمقاومة:

ديسمبر ١٩٧٧ + سبتمبر ١٩٧٨.

في أول ديسمبر ١٩٧٧ كان رأى الأهرام هو "قمة الرفض ورفض القمة" يعلق على "الحركة المحمومة بين عدد من العواصم العربية التي قامت بها عناصر الرفض القابعة في الشارع العربي. وترى الأهرام أن هذه الحركة موجهة ضد مصر وجهودها من أجل السلام والكيان الفلسطيني وليست موجهة ضد اسرائيل! وفي مقال زكريا نيل

بنفس العدد تركيز على المبدأ الرئيسى الذى تؤمن به مصر وهو "أن أى تحرك فى مبادرة السادات من أجل السلام سواء كان هذا التحرك فى القدس أو القاهرة أو جنيف يهدف إلى تسوية عربية اسرائيلية وليس مصرية اسرائيلية فقط، وأن المحورين الأساسيين الذين أكد عليهما السادات هما:

١- تحرير الأراضي العربية التى احتلت فى حرب ١٩٦٧.

٢- إنه لا مساومة حول "المسألة" الفلسطينية وأنه يجب اعطاء الشعب الفلسطينى وطناً قومياً وان يكون له حق تقرير المصير.

وتحدث رائد عطار فى عموده اليومى "الموقف الراهن" عن رحلة السادات العظيمة للقدس وموقف الدول العربية منها أو دول الرفض التى "لاتريد حلاً سريعاً بل تمشى ببطء إلى مالا نهاية" ويصور صلاح جاهين فى نفس العدد مصر "أم العرب" والعرب بجانبها طفل يلعب ويلهو .. ويعلق صلاح قانلاً "يابنى يا حبيبى امشى جنبى وبطل تضيق وقت احنا مش فاضيين".

وتهاجم الصحف المصرية جهود الدول العربية الراضية لمبادرة السادات وإن كان مايفعلونه يتم تحت "الحماية السوفيتية".

ثم يظهر كاريكاتير جاهين فى الأهرام^(٢٦) يصور العرب بصورة رجل ضخم والسلام بصورة فتاة رقيقة كالملاك ويعلق قانلاً "الظاهر لازم الأول نعمل مؤتمر السلام بين الفلسطينيين وبعض وبين البعثيين وبعض وبين العرب وبعض وفى الآخر بين العرب واسرائيل .." وفى اليوم التالى ٥ ديسمبر - كانت افتتاحية الأهرام بقلم على حمدى الجمال تحت عنوان "لعبة السوفيت الجديدة" يقول فيها ان الاتحاد السوفيتى يدرك جيداً أن نفوذه فى المنطقة سوف ينهار فى اليوم التالى لتوقيع اتفاق السلام مع اسرائيل لأن وجودها مرتبط بتوريد السلاح! وإن الاتحاد السوفيتى يلجأ إلى التفرقة بين العرب حتى لا يتم السلام ويستمر نفوذه!! ويصور جاهين فى نفس العدد العرب جميعاً وكأنهم خونة! ولم يوضح يخونون ماذا .. وكيف؟ وفى اليوم التالى ٦ ديسمبر نشرت الأهرام خبر قطع مصر العلاقات مع سوريا وليبيا والجزائر والعراق واليمن

الجنوبية وذلك للرد على الموقف المشين لقيادات هذه الدول في مؤتمر طرابلس بتجميد العلاقات مع مصر،، وهاجم رأى الأهرام العرب الرافضين الذى يريدون "ضرب مصر وضرب صمود الشعب المصرى" ويهاجم الأهرام العراق وسوريا والجزائر وليبيا بالتحديد مذكرا كلا منهم بمواقفه السابقة تجاه القضية الفلسطينية! ويرى صلاح جاهين بنفس العدد أن العرب "متخلفون" لا يفهمون شيئا. وفى ١١ ديسمبر نشرت الأهرام حديث السادات "لستامبا" الإيطالية وفى الحديث قال السادات انه لا استقرار فى الشرق الأوسط بدون فلسطين وهاجم الدول العربية الرافضة جميعا!! وفى اليوم التالى نشرت الأهرام حديث السادات إلى ممثلى الصحافة الأوروبية والذى أشار فيه إلى "أن مصر لا تسحب اعترافها بمنظمة التحرير .. على العكس وجهت لها الدعوة لحضور المؤتمر".

ولم تهمل الأهرام الموقف الأمريكى "الجديد" فقد كان المانشيت الرئيسى فى عدد ٥ يناير ١٩٧٨ هو تصريح كارتر فى أسوان أثناء اجتماعه مع السادات بأنه "يجب حل المشكلة الفلسطينية بكل جوانبها وأن يشارك الفلسطينيون فى تقرير مصيرهم، وتعليقا على هذا التصريح كان رأى الأهرام أن كارتر تحدث عن نقطتين:

١- ضرورة الانسحاب الاسرائيلى من جميع الأراضى التى احتلتها اسرائيل عام ١٩٦٧.

٢- حل المشكلة الفلسطينية من كافة جوانبها وقرار حق الشعب الفلسطينى فى تقرير مصيره.

وتقول الأهرام "ولوحظ أن الرئيس كارتر أدلى ببيانه مكتوبا ومحددا ولم يرتجله ولم يقله فى سياق ملاحظات جارية، مما يؤكد حرصا واضحا على الالتزام بموقف لايقبل التأويل". وفى رأى الأهرام تحت عنوان "الثورة الفلسطينية تأكل بنيتها"^(٢٧) شنت الأهرام هجوما على المنظمات الفلسطينية التى انسأقت وراء قوى الرفض "خطوة أولى على طريق الضياع السياسى" وذلك بمناسبة اغتيال سعيد حمامى فى لندن.

وقد استمرت الصحف المصرية طوال يناير وفبراير ١٩٧٨ فى ترديد نفس الكلمات حول إصرار مصر على الحل العادل والشامل للقضية وحرصها على الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى ... الخ. ثم جاء حادث اغتيال يوسف السباعى فى ١٩ فبراير ١٩٧٨ وقد كان هذا الحادث مناسبة للنيل من الثورة الفلسطينية .. فقد كان رأى الأهرام فى نفس اليوم تحت عنوان "الارهاب الأسود" تحدث عن اغتيال يوسف السباعى بيد بعض المنظمات الارهابية الفلسطينية "الذين يضيعون على الشعب الفلسطينى كفاحه النبيل والذين أساءوا من قبل ومازالوا يسيئون إلى الأهداف المخلصة للشعب الفلسطينى" ورغم أنه من حق الأهرام أن تدين اغتيال السباعى .. ولكن الذى ليس من حقها أن تحول نضال "بعض" المنظمات الفلسطينية إلى إرهاب" وتصفها بأنها منظمات ارهابية .. و "أنهم أساءوا من قبل للقضية". مع عدم تحديد أوجه هذه الاساءات الماضية .. ففى ٢٠ فبراير من نفس العام وبعد المغامرة الفاشلة للنظام المصرى الذى راح ضحيتها عدد من رجال الصاعقة اتهمت الأهرام بعض رجال المقاومة الفلسطينية بالاشتباك مع القوات المصرية فى قبرص! وفى خطاب السادات الذى نشرته الأهرام فى ٢٢ فبراير وصف قاتلى السباعى بأنهم "مأجورون" وأنه يقول للفلسطينيين قبل الجميع: "سنرد الضربة بعشرة أمثالها" مع الاصرار الكامل أيضا على الانسحاب الكامل والمحافظة على حقوق الشعب الفلسطينى".

وفى ٢٥ فبراير كانت افتتاحية الأهرام بقلم على حمدي الجمال بعنوان "تصريحاتهم العميلة لن تنسينا فلسطين" ويقول فيها "عدد من قادة منظمة التحرير الفلسطينية أصيبوا بالضياح إلى الحد الذى فقدوا فيه القدرة على الادلاء بتصريحات لها مضمون أو معنى .. وقد انضم ياسر عرفات لهذه المجموعة فأدلى أمس بتصريحات تؤكد أنه لا يفهم مايجرى فى الساحة العربية أو أنه لمصلحه شخصية لايريد أن يفهم، ويمضى الجمال فى مقاله قائلا "إن ياسر عرفات إنتهى منذ أن وقع على السموم التى خرجت من مؤتمر الرفض الذى عقد فى طرابلس. ومع ذلك فمصر إيماننا بمسئوليتها ودورها القومى الطبيعى سوف تظل تناضل فى سبيل القضية الفلسطينية وللشعب

الفلسطينى ولا تحمل أخطاء رئيس المنظمة ونائبه وعملاء الأنظمة العميلة فى المنطقة...". ومن كلمات الجمال يتضح:

- ١- أن قيادات المقاومة فى حالة ضياع لا يعرفون ماذا يفعلون.
- ٢- وان هذا مرتبط برفضهم للخط المصرى فى التسوية وانضمامهم إلى جبهة الصمود والتصدى الراضية.
- ٣- وان المصالح الشخصية تتحكم فى قيادات المقاومة.
- ٤- وان الجميع عملاء .. المنظمات الفلسطينية عميلة للأنظمة العربية التى هى بدورها عميلة للاتحاد السوفيتى.
- ٥- وان مصر وحدها "تناضل" فى سبيل فلسطين!.

وفى ٢٨ فبراير اهتمت الصحف بمناقشات مجلس الشعب .. فقد طالب الأعضاء "بإعادة النظر فى أوضاع الفلسطينيين المقيمين فى مصر" وهاجموا القيادات الفلسطينية التى باعت نفسها لجبهات الرفض "وإن مصر "سوف تتعامل معهم على هذا الأساس" ولم تهتم الصحف أن تنشر مقاله الأعضاء الوطنيين فى مجلس الشعب بصدد تأييدهم للمقاومة ورفضهم لهذه المراجعة والانحراف الموجهة ضد الشعب الفلسطينى رغم المزاعم المتصلة حول الدفاع عن حقوقه واحترام رغبته فى تقرير مصيره!!

وفى ٣ مارس ١٩٧٨ نشرت الأخبار والأهرام والجمهورية حديث السادات مع إحدى محطات التلفزيون الأمريكية الذى قال فيه: "إن منظمة التحرير مسئولة عن جريمة اغتيال يوسف السباعى" وإن مصر لم تغير موقفها تجاه القضية الفلسطينية ولا سلام بدون حل المشكلة الفلسطينية! ورغم اتهام السادات فقد اشار فى حديثه إلى: أنه لم يثبت بعد اشتراك الفلسطينيين فى الهجوم الغادر على قوات الصاعقة المصرية فى قبرص" وتجاهل السادات أيضا إدانة مختلف المنظمات الفلسطينية لاغتيال السباعى. وفى نفس العدد الذى اتهم فيه السادات المنظمة قال الجمال فى مقال له بالصفحة الأولى: إنه لم يعد من المقبول أن تسكت مصر على الاسفاف والتصريحات غير المسئولة التى تعدت كل المقاييس الأخلاقية واستمر فى حديثه مركزا على ماياتى:-

- أنه آن الأوان لكي تلقى مصر نظرة موضوعية على علاقاتها مع قيادة منظمة التحرير الفلسطينية.

- إن مصر هي الوحيدة التي وقفت مع قضية فلسطين منذ البداية.

- إن مصر لن تسكت على أخطاء قادة المنظمات وعلى كل مسئول فلسطيني أن يتحمل مسؤولية التصريحات التي "يهذى" بها.

ولتأكيد "النضال" المصري في سبيل فلسطين أبرزت الأهرام في صفحتها الأولى "كارتر يؤكد: حقوق الفلسطينيين شرط للتسوية الدائمة"، ولم يهتم كارتر بالإشارة "إلى حق جميع دول المنطقة في أن تعيش في سلام داخل حدود آمنة معترف بها".

واستمرت الصحف المصرية في سياستها العربية هذه. واتخذت موقفا "متوازنا" ومحايذا تجاه عمليات إسرائيل الارهابية في جنوب لبنان بل انها نشرت يوم ١٦- مارس بيان مصر حول العدوان الاسرائيلي على جنوب لبنان في صفحة الوفيات.

وواصلت الصحف المصرية اهتمامها بتتبع أنباء الخلافات داخل المنظمات الفلسطينية ومن أبرز الأمثلة "السيطرة على محاولة انشقاق داخل حركة فتح"^(٢٨) وإن هذا الانشقاق يتزعمه أبو داود وعدد من أنصاره .. "الجبهة الشعبية تهدد المنظمة لقبولها وقف نشاطها العسكري بجنوب لبنان". وفي ٣١ أغسطس جاء تقرير خاص للأهرام من داخل المجلس الوطني الفلسطيني ذكر أن "عرفات يشيد بدور مصر ويكشف مخطط العراق ضد الفلسطينيين" نقلا عن "المصادر الفلسطينية المطلقة .." إن عرفات أشاد "بالدور الايجابي والهام الذي لعبه الوفد البرلماني المصري برئاسة سيد مرعى لصالح القضية الفلسطينية خلال زيارة الوفد المصري لأمريكا" ... "كما أن التقرير كشف دور العراق التخريبي تجاه منظمة التحرير الفلسطينية". وتأكيدا لهذا الاتهام التخريبي للعراق نشرت الأهرام بصفتها الأولى بعد يومين: ١٩٧٨/ ٨/٢ "هجوم فلسطيني بالمدافع الرشاشة على سفارة العراق ببغروت، وذكرت الأهرام في تفصيل الخبر، إن هذا الهجوم ضمن سلسلة الأحداث الناتجة من الخصومة العنيفة بين منظمة فتح وياسر عرفات من جهة وبين العراقيين المتطرفين من جهة أخرى،

واستمرت الصحف فى متابعة تفاصيل الخلافات الفلسطينية والمبالغة فى إظهارها وأبرزها .. مع الاستمرار فى التأكيد على إصرار مصر على تسوية القضية الفلسطينية تسوية عادلة .. وبلغ الحمق بالأهرام الحد الذى جعلها تزيف أخبارا وهمية. منهما ما نشرته فى ٢٦ سبتمبر "بيجن يعلن استعدادة للتفاوض مع أعضاء منظمة التحرير إذا تم انتخابهم فى الضفة" مع المواظبة فى نشر تصريحات المسؤولين المصريين التى تؤكد أن ما حدث فى كامب ديفيد ليس اتفاقا فرديا وإن مصر مصممة على حل القضية الفلسطينية.. (٢٩)

الخلاصة:

لوحظ أن الصحف المصرية قد انتهجت فى معالجتها للمقاومة بعد مبادرة السادات (نوفمبر ١٩٧٧) نهجا يختلف تماما عن الفترة السابقة ويتمحور حول:

- ١- الإغفال شبه الكامل للعمليات العسكرية الفلسطينية والعرض المتوازن للعمليات النادرة المنشورة، مع الاعتماد على المصادر الصهيونية فى نقل هذه الأخبار.
- ٢- عدم الإشارة نهائيا إلى الانتفاضات الفلسطينية داخل الأراضى المحتلة ضد زيارة السادات.
- ٣- محاولة الإيهام بوجود انفصال بين الشعب الفلسطينى وقيادته .. وإن القاعدة العريضة للجماهير الفلسطينية تعترض على قيادتها.
- ٤- اللجوء إلى الابتذال فى مواجهة الرفض العربى شبه الجماعى لزيارة السادات. واتهام الدول العربية الرافضة بالعمالة والخيانة والتفريط فى قضية الشعب الفلسطينى!
- ٥- اتهام المنظمات الفلسطينية الرافضة للسياسة المصرية بالعمالة للدول العربية وعجز هذه المنظمات عن الحركة فى حرية.
- ٦- الالتحاح على الموقف المصرى للمناصر للقضية الفلسطينية، مع إغفال وجود أى سلبات تترتب على زيارة السادات لاسرائيل.

٧- اتهام الاتحاد السوفيتي بأنه سبب الرفض العربي حرصا على مصالحه الذاتية، وتخفيف اللهجة العدائية ضد اسرائيل.

٨- استخدم كل الفنون الصحفية في تحقيق الأهداف السابقة.

مما سبق يمكن استخلاص الملامح العامة لاتجاهات الصحافة المصرية نحو المقاومة الفلسطينية وقبل وبعد مبادرة السادات ونوجزها على النحو التالي:

أ - قبل المبادرة :

- الاهتمام بعنف المقاومة العربية واستمرارها وتصاعدها .. وادانة القمع الاسرائيلي وتأكيد موقف مصر "المبني" من المقاومة وتأييد نضالها المشروع .. والاشارة إلى قدرة مجلس الأمن على وقف الإرهاب الاسرائيلي والربط بين الحل الشامل وإقرار السلام وبين القضاء على هذه المقاومة ورد فعلها الارهابي.
- اتخاذ موقف معاد من الأنظمة العربية عند تقييم مواقفها تجاه المقاومة الفلسطينية، باعتبار هذه الأنظمة تتاجر بالقضية وتخونها وتعمل على تصفيتها.
- إدانة الاتحاد السوفيتي باعتباره حريصا على استمرار القضية بلا حل "المصالحه الذاتية وأعتبر الولايات المتحدة الأمريكية وحدها قادرة على إنهاء" الصراع لانها تمتلك ٩٩% من أوراق اللعبة!.
- معاداة بعض المنظمات الفلسطينية التي تتخذ موقفا معاديا للسياسة المصرية أو موقفا مؤيدا لأحد الأنظمة العربية الأخرى.
- التركيز على اعتبار منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني.

ب - بعد المبادرة :

- تجاهل المقاومة العربية والعرض المتوازن عند التعرض للعمليات العسكرية الفلسطينية. ولم يعد الاهتمام منصبا على إدانة الارهاب الاسرائيلي بقدر "نصيحة" اسرائيل أن تسرع بحل القضية حرصا على أمن الشعب الاسرائيلي.

- استمرار معاداة الأنظمة العربية التي اتخذت موقفا رافضا لسياسة الرئيس السادات.. والتبذل الشديد في معاداة هذه الأنظمة الخلو من أى عرض موضوعى لما يقوله هؤلاء الرافضون.

- استمرار معاداة الاتحاد السوفيتى وكشف سياسته الاستعمارية فى المنطقة!! والدفاع المستمر عن المواقف الأمريكية، رغم وضوح بعدها عن تبني مصلحة الشعب الفلسطينى وحقوقه المشروعة.

- التأكيد على اعتبار منظمة التحرير الممثل الشرعى للشعب الفلسطينى. ولكن مع الإيهام بوجود خلافات بين قيادات المنظمة والشعب الفلسطينى، مما يوحي أنهم لايمثلون هذا الشعب.

ومما تجدر ملاحظته أن التغيير فى موقف الصحافة بعد المبادرة كان تغييرا فى الدرجة وليس فى النوع .. ذلك أن هذه المبادرة ماهى إلا حلقة من مجموعة حلقات متصلة فى سبيل تصفية القضية الفلسطينية .. وخيانة حق الشعب الفلسطينى فى وطنه الشرعى .. وهو مايمثل خيانة حقيقة لمصالح الطبقات الشعبية فى مصر ويهدد المستقبل الوطنى كله.

دراسة حالة: مواقف رؤساء تحرير الصحف المصرية من المبادرة:

وعندما حاولنا إجراء مقارنة بين الآراء التى كانت يرددها رؤساء تحرير الصحف المصرية فى فترة الستينات ثم تحولوا عنها فى فترة السبعينيات، وخصوصا فيما يتعلق بقضية الصراع العربى الاسرائيلى توصلنا إلى بعض النتائج الأساسية التى يمكن تلخيصها على النحو التالى:

بالنسبة للصراع العربى الاسرائيلى:

أسفر التحليل الكيفى لمقالات موسى صبرى فى جريدة الأخبار خلال عامى ١٩٦٧، ١٩٧٧ عن المؤشرات التالية:

١- كتب في ٢٩ أكتوبر ١٩٦٧ مقالا يرفض فيه الحل السلمي (الدبلوماسي) إلا في حدود كونه يمثل مرحلة قومية أو خطة تكتيكية. ويرى أن القضية العربية لن تحل إلا على الأرض العربية ويؤكد أن ماتصر أمريكا على فرضه على العرب لا يرضى أحدا ولن ينتج عنه حل شامل للمشكلة ولن يكون طريقا إلى حياة جديدة في المنطقة كما يتصور البيت الأبيض. وإن الكفاح الدبلوماسي يهدف إلى منع العدو من أن يفرض شروطه علينا فهو هدف محدد لمرحلة محددة، لأن الحلول الدائمة هي التي تتفق مع طبيعة الأشياء. وينتقل في مقال آخر إلى توضيح ماذا يعنى بالحلول الدائمة فيقول (إننا نعيش أياما فاصلة إما أن نثبت وجودنا وإما أن يلغى الأعداء هذا الوجود) ويطالب برفع شعار كل وحدة عمل ثورية، أى يجب أن تتحول الجبهة الداخلية وكل مواطن إلى قمة الاستعداد لمواجهة العدو الاسرائيلي في الداخل بنفس القوة والاستعداد الذي ستواجهه به قواتنا المسلحة في جبهة القتال^(٣٠).

وعندما تنتقل إلى مقالات موسى صبرى فى السبعينات نراه يصف قرار السادات بزيارة القدس بأنه ضربة معلم وإن رحلة السادات إلى إسرائيل هي أخطر رحلة فى تاريخ منطقة الشرق الأوسط منذ ثلاثين عاما^(٣١). ويتهم موسى صبرى دول الرفض بأنها تتاجر بالقضية العربية، وتريد أن تدفع مصر دفعا إلى حل منفرد مع إسرائيل. ثم نفاجا بترحيبه الحار بزيارة بيجن لمصر، إذ يقول تحت عنوان مرحبا بزيارة بيجن: (نعم الأحداث تجرى بسرعة ولم تكن نتوقع زيارة بيجن لمصر بهذه السرعة، وليس معنى ذلك أنه جاء ليرد الزيارة للسادات. ولكن جاء لأن عنده مايقوله. ولم يبق أمام المعارضة الاسرائيلية مفر إلا أن تخضع لارادة شعبها وتتعايش مع صفحة التاريخ الجديدة التى صنعها السادات^(٣٢)).

٢- يبدى مصطفى أمين حماسا ملحوظا فى تأييده لمبادرة السادات، إذ يرى أنها لاتعمل من أجل مصر فقط. ولكن من أجل العرب والفلسطينيين^(٣٣). ثم سرعان مايقع فى التناقض عندما يشير فى سائر مقالاته إلى أنه بالمال اليهودى والعبرية المصرية نستطيع أن نبني الشرق الأوسط من جديد. ولا يتعرض لمناقشة الفوائد

التي ستعود على الفلسطينيين والعرب من المبادرة. بل يقتصر فقط على إبراز الجوانب الإيجابية بالنسبة لليهود ويهاجم قوى الرفض العربية برميهم بشتى التهم، فتراه مثلاً يقول (إن العرب يمقتون الديمقراطية ويعبدون الديكتاتورية ويرون فى تلقى الأوامر من موسكو عروبة ووطنية، وفى الاستقلال عن موسكو خيانة وطنية)^(٣٤) ويرى أن قوى الرفض العربية والفلسطينية تمثل أقلية مسحوقة. وليس من المعقول أن تتحكم فى أغلبية ساحقة برفضها لمعاهدة السلام.

٣- أما أنيس منصور فقد خصص العديد من المقالات التى ناقش من خلالها المبادرة بروح مملوءة بالتأييد الحذر والحرص على عدم الالتزام بمواقف محددة واضحة. ففى نهاية ١٩٧٧ يعتمد أنيس منصور فى كتاباته عن المبادرة على أسلوب الكر والفر والجميل التى لاتحمل رأياً. فهو يقول عن المؤتمر الصحفى الذى حضره السادات وبيجن (إن مصر لديها التزامات قومية بالمشكلة الفلسطينية والضفة الغربية وقطاع غزة والمنظمات الفلسطينية.. هذا الالتزام هو الذى جعل مصر ترفض أن تعلن ماتحقق فى لقاءات القدس والاسماعيلية)^(٣٥).

ويدافع أنيس منصور عن المبادرة بأسلوب فيه من الاعتذار أضعاف مابه من الاقتناع يقول (إن عذرنا الوحيد هو أن هذه المبادرة خطوة ليس لها نظير فى التاريخ. ولذلك فقد أخذتنا معها وبهرتنا وأربكتنا - لقد اكتسحتنا المبادرة واطاحت بأحلامنا ورؤوسنا ثم جاءت الأصداء من العالم كله فأخذنا الناس معنا وطرنا بهم إلى السماء)^(٣٦).

ويعترف فى إحدى كتاباته بأنه كان من الأفضل أن ننتظر ونساوم إسرائيل على هذه الخطوة. ويبرر عدم الانتظار بأننا جادون فى السلام ولكن المشكلة متعددة الأطراف ومعقدة والناس مستعجلون ولذلك فإن النتائج سوف تأتى ولكن إبطاً مما يتصور الناس)^(٣٧).

ويؤكد أنيس منصور بأن موافقة أمريكا على إعطاء سلاح لمصر والسعودية لايعنى أن أمريكا لن تساند إسرائيل ولكنها سوف تساندها ولكن ليس إلى درجة الاضرار بمصالح الشعب الأمريكى فى الشرق الأوسط والعالم كله)^(٣٨).

٤- ويبدو محسن محمد أكثر ذكاء من زملائه في إعلان تأييده للمبادرة، مع إبراز تحفظاته على موقف إسرائيل من خلال صياغات مدروسة ومحسوبة معا. إذ نلاحظ حرصه على نشر المواقف الاسرائيلية المتعنتة والعدائية خصوصا ازاء الضفة الغربية ومنظمة التحرير الفلسطينية^(٣٩). ويتميز موقفه من الدول العربية الرافضة بأنه أقل عداء وحدة من زملائه الذين سبق أن استعرضنا مواقفهم. كما أنه يحاول أن يفند مواقف الرافضين في هدوء ويبدى اهتمامه بتفسير الدوافع التي أدت إلى قيام السادات بمبادرته، فيستعيد الأزمة الاقتصادية وعدم وجود السلام ويركز على سبب آخر هو أن مصر تسالم لأنها ترى إسرائيل هزمت في آخر الحروب العربية الاسرائيلية. وإن السلام قد استقر في القلوب وبقي أن يتخذ شكله المكتوب في اتفاق ونصوص^(٤٠).

ومما يجدر ذكره أن محسن محمد لم يتعرض في عموده اليومية لموضوع المبادرة منذ إعلان الرئيس السادات بأنه على استعداد لزيارة إسرائيل في خطابه بمجلس الشعب وحتى ٢٨ نوفمبر. ولم يكتب عن المبادرة إلا يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٧٧. ثم استمر في متابعة الموضوع من زواياه المختلفة من موقف موسكو من المبادرة ومؤتمر طرابلس وجبهة الرفض.

الهوامش

١. الأهرام ١٩٧٠/٩/٢٢
٢. الأهرام ١٩٧٠/٩/٢٣
٣. الأهرام ١٩٧٠/٩/٢٤
٤. الأهرام ١٩٧٠/٩/٢٨
٥. الأهرام ١٩٧٠/١٠/١٣
٦. الأهرام ١٩٧٠/١١/٣
٧. الأهرام ١١/٧، ٢٥، ١١/١١ ١٩٧٠
٨. الأهرام ١٩٧٠/١٢/٣
٩. الأهرام ١٢/٧، ١٢/٩، ١٢/٢٥ ١٩٧٠
١٠. الأخبار ١٩٧١/١/٧
١١. الأخبار ١٩٧١/١/١٨
١٢. الأهرام ١٩٧١/٤/٥
١٣. الأهرام ١٩٧١/٥/١
١٤. الأخبار ١٩٧١/٦/١
١٥. الأخبار ١٩٧١/٦/١١
١٦. الأخبار ١٩٧١/٦/٩
١٧. الجمهورية ١٩٧٢/٩/٨
١٨. الجمهورية ١٩٧٢/٩/١٦
١٩. الأهرام ١٩٧٢/٩/١٢
٢٠. الأهرام ١٩٧٢/٩/١٨
٢١. الأهرام ١٩٧٣/١١/١٢
٢٢. الأهرام ١٩٧٣/١١/٢٨
٢٣. الأهرام ١٩٧٣/١١/٣
٢٤. الأهرام - الجمهورية - الأخبار مارس - أبريل ١٩٧٦
٢٥. الأهرام ١٩٧٦/٣/٢٠

٢٦. الأهرام شهور فبراير - مارس - أبريل ١٩٧٦
٢٧. الأهرام - الجمهورية - الأخبار ١٢، ١٣/٣/١٩٧٨
٢٨. الأهرام ٢٢/٣/١٩٧٨
٢٩. الأهرام - الأخبار ١٧/٤/١٩٧٨
٣٠. الأخبار ٢ يوليو ١٩٦٧، ٥ نوفمبر ١٩٦٧
٣١. الأخبار - ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧
٣٢. الأخبار - ١٨ ديسمبر ١٩٧٧
٣٣. الأخبار - ٢١ نوفمبر ١٩٧٧
٣٤. الأخبار ديسمبر ١٩٧٧
٣٥. الأهرام - ٢٧ ديسمبر ١٩٧٧
٣٦. الأهرام - ١٦ نوفمبر ١٩٧٨
٣٧. الأهرام - ١٦ نوفمبر ١٩٧٨
٣٨. الأهرام - ١٨ مايو ١٩٧٨
٣٩. الجمهورية - عمود من القلب - ٢٨/١٢/١٩٧٧
٤٠. الجمهورية - عمود من القلب - ٣٠/١٢/١٩٧٧